

## الرتبة النحوية ونظرية النحو العربي في ديوان آخر الليل لمحمود درويش

### Grammatical Rank and Arabic Grammar Theory in the "Late Night" Collection by Mahmoud Darwish

حمزة محمد عطية علاونة<sup>(1)</sup>

#### الملخص

يتناول هذا البحث مسألة الرتبة في النحو العربي، وأثرها في تغيير المعنى، وذلك من خلال بيان أثر ظاهرة الرتبة وهي ما تعرف بالتقديم والتأخير في ديوان آخر الليل، كي تشكل دورا بارزا في بيان المعنى الذي يدور في نفس الشاعر درويش على خلاف ما يظهره في أصل الكلام، وكي يتسنى لي تقديم الموضوع تقديمًا واضحًا وشاملاً فقد انقسم البحث إلى ثلاثة فصول، حيث بدأ الفصل الأول بتعريف الرتبة لغة واصطلاحًا، والوقوف على تعريفات علماء النحو والبلاغة لها، وفي الفصل الثاني تمحور عن أثر تغيير الرتبة في النحو العربي، وخصص الفصل الأخير للحديث عن ظاهرة التقديم والتأخير في ديوان آخر الليل لمحمود درويش، والوقوف عليها، وبيان الفائدة التي جذبت من هذه الظاهرة، وقد دُيِّلَ البحث بأبرز النتائج التي توصل إليها. كلمات مفتاحية: الرتبة النحوية، نظرية النحو العربي ديوان آخر الليل، المنهج الوصفي التحليلي

#### Abstract

This research deals with the issue of rank in Arabic grammar, and its impact on changing the meaning, by clarifying the effect of the phenomenon of rank, known as the foregrounding and back-grounding in the "Late Night" Collection, in order to form a prominent role in explaining the meaning that revolves in the soul of the poet Darwish, contrary to what appears in the original Speech. In order to present the topic in a clear and comprehensive manner, the research was divided into three chapters: the first one began with defining the rank linguistically and idiomatically, with reference to the definitions of grammarians and rhetoricians therefor. The second chapter tackles the effect of rank changing in Arabic grammar. The last chapter addresses the phenomenon of foregrounding and back-grounding in the "Late Night" poetry collection of Mahmoud Darwish. The Research concludes with the main outcomes.

**Key Words:** Grammatical Rank, Arabic Grammar Theory, "Late Night" Poetry Collection, Descriptive-Analytical Approach

[DOI: 10.15849/ZJJHSS.220330.04](https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.220330.04)

<sup>(1)</sup> دكتوراة لغة عربية، لغة ونحو -الأردن - إربد ، تاريخ استلام البحث 2021/11/30، تاريخ قبوله 2022/01/09

## المقدمة

مما لا شك فيه أن علماء النحو قديماً وحديثاً درسوا الجملة في جميع جوانبها سواء أكانت جملة اسمية أم فعلية، فقد سجلوا قواعدهم النحوية وفق ضوابط متقنة، فعلم النحو واسع الدلالات، وقد ظهر في هذا العلم ظاهرة جذبت انتباه الكثير من النحاة والبلاغيين، وكان لها دور كبير في الارتقاء بمفهوم المعنى ألا وهي الرتبة، وتعتبر ظاهرة الرتبة وهي ما سميت بالتقديم والتأخير قرينة لفظية تختص في قرائن الإسناد في الجملة، وظلت ظاهرة الرتبة تشغل حيزاً كبيراً في النحو العربي، وتعد قضية هامة من القضايا التي استعرضها علماء العربية في ثنايا كتبهم.

إن مسألة تغير الرتبة لا تأتي اعتباطاً في النحو العربي، فالمتكلم عندما يقدم ويؤخر يهدف إلى معنى يدور في نفسه على خلاف ما يظهر الكلام على أصله دون تقديم وتأخير، لذا جاءت هذه الدراسة تبين أثر تغير الرتبة في النحو العربي، وقد احتوى البحث على أبرز مظاهر التقديم والتأخير في ديوان محمود درويش وفق أربعة عناوين: الأول: تقديم الاسم على الفعل، والثاني: تقديم الخبر على المبتدأ، والثالث: تقديم الحال على صاحبه، والرابع: تقديم شبه الجملة على معمولها.

## مشكلة الدراسة :

تبرز مشكلة الدراسة في بيان مدى شيوع ظاهرة التقديم والتأخير في ديوان محمود درويش مع توضيح أثر المتلقي في كل تقديم أو تأخير وحسن توظيفه لهذه الظاهرة اللغوية.

## أسئلة الدراسة

ما الرتبة؟

ما أثر تغير الرتبة في النحو العربي؟

ما أبرز مظاهر التقديم والتأخير في ديوان آخر الليل؟

ما أثر التقديم والتأخير في المتلقي؟

## أهداف الدراسة

التعرف على معنى الرتبة لغةً واصطلاحاً.

الكشف عن أثر تغير الرتبة في النحو العربي.

الكشف عن أبرز مظاهر التقديم والتأخير في ديوان آخر الليل.

الكشف عن أثر التقديم والتأخير.

## أهمية الدراسة

يلقي هذا البحث الضوء على أبرز مظاهر التقديم والتأخير في ديوان آخر الليل لبيان مدى قوة التقديم والتأخير في نفس الشاعر، وأثره على المتلقي.

## منهجية الدراسة

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن مظاهر التقديم والتأخير في ديوان آخر الليل، وأثرها في نفس الشاعر والمتلقي.

## الرتبة لغةً واصطلاحاً

### الرتبة لغةً:

الرتبة مشتقة من الجذر الثلاثي رَتَبَ، وقد جاء في لسان العرب: "رتب الشيء يرتب رتوباً وترتب بمعنى ثبت ولم يتحرك، يقال رتب رتوب الكعب أي انتصب انتصابه ورتبه ترتيباً أثبتته، والرتبة والمرتبة المنزلة عند الملوك ونحوها، وقال الخليل: المراتب في الجبل والصحاري هي الأعلام التي ترتب فيها العيون"<sup>(1)</sup>. وعند الزمخشري رتب الشيء: ثبت ودام وله عز راتب وترتب، ونقول: إن فلانا رتب رتوب الكعب في المقام الصعب، ورتب في الصلاة أي انتصب قائماً، ويقال ما في أمره رتب ولا عتب إذا كان سهلاً مستقيماً، وهو من أهل المراتب أي في أعلى الرتب<sup>(2)</sup>.  
ويذكر صاحب معجم متن اللغة أن الرتبة ما أشرف من الأرض، وقيل الرتبة هي الصخور المتقاربة وبعضها أرفع من بعض، وقيل الرتبة جمع رتب وهي المنزلة الرفيعة<sup>(3)</sup>.

### الرتبة اصطلاحاً:

الرتبة هي الموقع الذكري للكلمة في جملتها، فيقال: رتبة الفاعل أي التقدم على المفعول به، ورتبة المفعول أي تأخيره عن الفاعل، ورتبة المبتدأ أي التقديم على الخبر، ورتبة الخبر أي التأخير عن المبتدأ، فالكلمة المتقدمة بحسب رتبها المقررة لها قيل فيها متقدمة رتبة، والمتأخرة عما هو مقرر لها قيل إنها متأخرة رتبة، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ يقال في المفعول به: متقدم لفظاً ومتأخر رتبةً، وكذلك في الفاعل وهو ربه متأخر لفظاً ومتقدم رتبة<sup>(4)</sup>.  
وخلاصة القول أن المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للرتبة قريبان من بعضهما، فكلاهما يدلان على التنظيم والترتيب.

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003م، ج1، رتب، ص408.

(2) الزمخشري، محمود بن محمد بن عمر الخوارزمي (538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص334-335.

(3) رضا، أحمد، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1377هـ - 1958م، المجلد الثاني، ص542.

(4) اللبدي، محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، 1405هـ - 1985م، ص92.

## أثر تغير الرتبة في النحو العربي

قد جعل النحاة للكلام رتباً من حيث الأسبقية فيما بينها، فإن جاء الكلام على الأصل، بمعنى تقدم الفعل على الفاعل، وتقدم الفاعل على المفعول، وتقدم المسند إليه على المسند، لم يدخل من باب التقديم والتأخير، وإن وضعت الكلمة في غير موضعها الأصلي دخلت في باب التقديم والتأخير.

ويلخص فاضل السامرائي مسألة التقديم والتأخير بأن الكلام يعتمد على الرتب التي بعضها أسبق من بعض، فإن جرى الكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير، وإذا غيرت أي كلمة عن مكانها الأصلي دخل هذا في باب التقديم والتأخير، والأصل في التقديم والتأخير أن يأتي للعناية والاهتمام، ومواطن العناية والاهتمام تختلف بحسب المقام، فقد تقدم كلمة في موطن ما تؤخرها في موطن آخر، وليس معنى الاهتمام هو الإتيان بما هو أفضل بل قد يكون تقديم المفصول هو موطن الاهتمام، وربما يكون التقديم والتأخير لمراعاة معنى معين، فإن تغير ترتيب العبارة بتقديم أو تأخير تغير المعنى، قد يكون التقديم لضرب من التوسع في الكلام لا للدلالة على معنى معين<sup>(1)</sup>.

ويرى تمام حسان بأن التقديم والتأخير عبارة عن وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة حسب رتب خاصة بها تظهر فيها الفائدة وتعد ظاهرتي التقديم والتأخير هما موضع عناية فائقة لدى عبد القاهر الجرجاني<sup>(2)</sup>.

إن الكلام على شاكلته الأصلية لا يأتي في باب التقديم والتأخير، فإن قلت: كسا محمدًا سالمًا قميصًا، لا تعتبر هذه الجملة في باب التقديم والتأخير، فهي جملة جاءت على الأصل: فعل ثم فاعل ثم مفعول به أول ثم المفعول به الثاني، لكن لو غيرت أي كلمة من هذه الكلمات عن موضعها دخلت في باب التقديم والتأخير الذي يدل على أن ما قدمته أهم مما أخرته، فلو قلت: كسا محمدًا قميصًا سالمًا، كنت قدمت المفعول به الثاني على المفعول به الأول، وكان ذكر القميص أهم من ذكر سالم، ولو قلت: كسا قميصًا محمدًا سالمًا، كان ذكر القميص أهم من ذكر الفاعل والمفعول الأول، ولو قلت: قميصًا كسا محمدًا سالمًا، كان الاهتمام بذكر القميص أكثر مما بعده، ثم تترتب الأهمية بحسب وضع الكلمات في العبارة حتى الوصول إلى آخر كلمة<sup>(3)</sup>. ومن هنا فإن اللغة مجموعة من الأصوات والأبنية والتراكيب التي تحمل دلالات ومقاصد، يحملها المتكلم في النصوص المنجزة من أجل تبليغ رسائله<sup>(4)</sup>.

## الرتبة النحوية في ديوان آخر الليل لمحمود درويش

وانطلاقاً مما تقدم والذي يعتبر في الجانب النظري، لا بد من الوقوف على مظاهر التقديم والتأخير في ديوان آخر الليل لمحمود درويش. ومن أبرز هذه المظاهر:

(1) السامرائي، فاضل صالح، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط2، دار الفكر، عمان، 1427هـ – 2007م، ص37.

(2) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص188.

(3) السامرائي، فاضل صالح، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط2، دار الفكر، عمان، 1427هـ – 2007م، ص37.

(4) دراوشة، حسين عمر، النسق في شعر المعتقلين الفلسطينيين ديوان الضوء والأثر نموذجاً، مجلة جامعة الزيتونة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثاني، الإصدار الثالث، 2021م، ص67.

## أولاً: تقديم الاسم على الفعل

أثبت النحاة أن للجملة العربية نوعين وفق نظام الإسناد، والتمييز بينهما على أساس اختلافهما في طبيعة المسند وطبيعة الإسناد، فالمسند في الجملة الاسمية اسم أو ما يجري مجراه، وفي الجملة الفعلية يكون المسند فعلاً أسند إلى اسم فاعل، ومن ظاهرة الإسناد هذه في تركيب الجملة العربية ظهر الاختلاف في تقديم الخبر على الاسم لتقدم الانفصال بينهما، ومنع تقدم الفاعل على الفعل عند البصريين لعدم إمكانية الفصل بينهما؛ لأن الفعل لا يأتي إلا ومعه فاعل له، فإذا تقدم الاسم على الفعل خلا الفعل من الفاعل، وقدّر في الجملة الانفصال بخروجها من الفعلية إلى الاسمية، وإن الجملة الفعلية التي تتألف من الفعل والفاعل تعتبر وحدة متكاملة بخلاف الجملة الاسمية التي يقدر فيها الانفصال بين المبتدأ والخبر واستقلال كلّ واحد منهما عن الآخر<sup>(1)</sup>، أي أنّ البناء اللغوي يلعب دوراً فاعلاً في تحديد الدلالة، وتحديد البعد الزمني لها، فالزمن مرتبط بمجموعة العلاقات والروابط بين الكلمات داخل التركيب، ليدلّ على البعد أو القرب أو الاستمرار أو الانقطاع من خلال الاستعمال.<sup>(2)</sup> وهذا ما يؤكد أهمية الفعل في التقدم بالترتبة.

ويقول الزجاجي في باب الاسم والفعل والحرف: "قال البصريون والكوفيون: الأسماء قبل الأفعال، والحروف تابعة للأسماء، وذلك أن الأفعال أحداث الأسماء، يعنون بالأسماء أصحاب الأسماء، والاسم قبل الفعل لأن الفعل منه والفاعل سابق لفعله"<sup>(3)</sup>.

فالزجاجي فيما سبق يرى بضرورة تقدم الاسم على الفعل؛ لأن الاسم هو الأصل في قيام الفعل، فلولا الاسم لما قام الفعل.

ويساند ابن يعيش رأي الزجاجي في أولوية تقدم الاسم على الفعل بقوله: "علم أن القياس في الفعل من حيث هو حركة الفاعل في الأصل أن يكون بعد الفاعل؛ لأن وجوده قبل وجود فعله لكنه عرض للفعل أن كان عاملاً في الفاعل والمفعول لتعلقهما به واقتضائه إياهما، وكانت مرتبة العامل قبل المعمول فقدم الفعل عليهما لذلك، وكان العلم باستحقاق تقدم الفاعل على فعله من حيث هو موجوده"<sup>(4)</sup>.

وأرجح تقدم الاسم على الفعل؛ لأن الأصل في الجملة هو الفعل، فلولا الفعل لم يكن للجملة معنى فالفعل هو أساس الجملة ولبنتها.

وبالنظر إلى ديوان آخر الليل لمحمود درويش نجد ظاهرة تقديم الاسم على الفعل واضحة.

قدم الشاعر الاسم على الفعل في قوله:<sup>(5)</sup>

(1) عبد الحميد، ليث أسعد، الجملة الوصفية في النحو العربي، ط1، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1426هـ – 2006م، ص15-16.

(2) الغرابية، علاء الدين أحمد، الزمن النحوي في مقام الياسمين لخالد الكركي: دراسة في التركيب والدلالة، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد 37، العدد 1، 2010م، ص189.

(3) الزجاجي، أبو القاسم (340هـ)، في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، ط3، دار النفائس، بيروت، 1979م، ص83.

(4) ابن يعيش، موفق الدين (643هـ)، شرح المفصل، ج1، ص75.

(5) درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة موال، ص21.

## والباب يوصد دوني

كوني على شفّيتي      اسماً لكل الفصول  
لم يأخذوا من يدياً      إلا مناخ الحقول

قدّم الشاعر محمود درويش (الباب) على الفعل (يوصد)، وأصل الكلام (يوصد الباب دوني)، فلم يقدّم ذلك عبثاً لكنه أراد من التقديم إعطاء الاسم أساس الكلام، فالباب يدل إلى الشرف والعفة اللتان ترمزان إلى بداية التحرر من حكم الأندال.

وكذلك في قوله: (1)

والباب يغلق مرة أخرى

نلاحظ أن الاسم تقدّم على الفعل، والأصل أن يتقدّم الفعل على الاسم (يغلق الباب مرة أخرى)؛ لأن الفعل من حيث الترتيب أولى من الاسم فدائماً الحدث أولاً ثم يتبعه الاسم، ولكن ما نلاحظه هنا أن الاسم تقدّم على الفعل، فقد أعطى التقديم الاسم اهتماماً أكثر من الفعل؛ لما يرمز له الباب من معانٍ كثيرة منها الفرج وما يقابله في الإغلاق من الضيق.

ونرى ذلك في قوله أيضاً: (2)

والأفق يشرب من نبيذ الشمس

ما شربت يدي

نلاحظ الشاعر قام بتفضيل كلمة (الأفق) على الفعل (يشرب) لما يرمز إليه الاسم المستقبل، فالأفق هو الأساس، وهذا دليل على الاهتمام بالاسم أكثر من الاهتمام بالفعل. إن تغيير الرتبة في الأبيات السابقة له معنى كبير، فلم يكن تقدّم الاسم على الفعل دون سبب، فتقدم الاسم أعطى للاسم أهمية أعظم من الفعل.

## ثانياً: تقديم الخبر على المبتدأ

يقول سيبويه في هذا الباب: "وزعم الخليل رحمه الله أنه يُستقبح أن يقول قائمٌ زيدٌ، وذلك إذا لم تجعل قائماً مقدماً مبنياً على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: ضرب زيدٌ عمروً، وعمروٌ على ضرب مرتفع، وكان الحد أن يكون مقدماً ويكون زيد مؤخرًا، وكذلك هذا الحد فيه أن يكون الابتداء فيه مقدماً، وهذا عربيٌ جيد، وذلك قولك تميمي أنا، ومشنوه من يشنوك، ورجلٌ عبد الله، وخزٌ صفتك" (3).

(1) درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط3، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة موال، ص21.

(2) درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط3، دار العودة، بيروت، 1993م، ص64.

(3) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ - 1988م، ج2، ص127.

يذهب الكوفيون إلى عدم جواز تقديم خبر المبتدأ عليه، مفرداً كان أو جملة، فالمفرد نحو: قائم زيد، وذاهب عمرو، والجملة نحو: أبوه قائم زيد، وأخو ذاهب عمرو، ويذهب البصريون إلى جواز تقديم خبر المبتدأ عليه، المفرد والجملة<sup>(1)</sup>.

وأما الكوفيون فاحتجوا بقولهم: إنما قلنا لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه، مفرداً أو جملة؛ لأنه يؤدي إلى تقديم ضمير الاسم على ظاهره، فإذا قلت: (قائم زيد) كان في (قائم) ضمير (زيد) وكذلك إذا قلت "أبوه قائم زيد" كانت الهاء في (أبوه) ضمير زيد، فقد تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ولا خلاف أن رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره، فوجب أن لا يجوز تقديمه عليه<sup>(2)</sup>.

وحجة البصريين في جواز تقديم خبر المبتدأ؛ لأنه جاء عند كثير من كلام العرب وأشعارهم، فمن كلام العرب: قولهم في كلام المثل: في بيته يؤتى الحكم، وقولهم: في أكفانه يلف الميت. وحكى سيبويه: تميمي أنا، فقد تقدم الضمير في هذه المواضع كلها على الظاهر؛ لأن التقدير فيها: الحكم يؤتى في بيته، والميت يلف في أكفانه، وأنا تميمي<sup>(3)</sup>.

ومن أمثلة تقديم الخبر على المبتدأ في ديوان آخر الليل<sup>(4)</sup>:

بيننا مليون عصفورة وصورة

الرتبة الأصلية في البيت السابق هي مليون عصفورة وصورة بيننا؛ لأن المبتدأ مضاف (مليون صورة)، لعل بهذا التقدم أراد الشاعر تغييراً في الأسلوب هدفه الأول والأخير اختلاف طبيعة الناس الذين يقطنون فلسطين.

### ثالثاً: تقديم الحال على صاحبه

تتقدم الحال على عاملها في حال الطبيعة إذا كان فعلاً متصرفاً أو وصفاً على نحو قوله تعالى: (خَشَعًا أَبْصُرُهُمْ يَخْرُجُونَ)، وفي قول يزيد بن زياد: نجوت وهذا تحمليين طليق، وتقدير الكلام وهذا طليق محمولاً لك، وجملة تحمليين في وضع نصب على الحال وعاملها طليق وهو صفة مشبهة<sup>(5)</sup>.

ذهب الكوفيون إلى عدم جواز تقديم الحال على الفعل العامل فيها، مع الاسم الظاهر، نحو: راكباً جاء زيد، ويجوز التقديم مع الضمير نحو: راكباً جئت، وعلى خلاف ذلك ذهب البصريون إلى جواز تقديم الحال على الحال فيها مع الاسم الظاهر والمضمر<sup>(6)</sup>.

(1) الأبنباري، أبو البركات (577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م، ص61.

(2) المصدر السابق، ص61.

(3) المصدر السابق، ص62.

(4) درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة ريتا والبنديقية، ص60.

(5) بسبوني، كمال، المشتبهات في النحو، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص38.

(6) الأبنباري، أبو البركات (577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م، ص210.

فالكوفيون احتجوا بعدم جواز تقديم الحال على العامل فيها؛ وذلك لأنه يؤدي إلى تقديم المضمرة على المظهر، فقولك: راكبًا جاء زيد كان في راكبًا ضمير زيد، وقد تقدم عليه، وتقديم الضمير على المظهر لا يجوز<sup>(1)</sup>.

والبصريون احتجوا بقولهم: إنما قلنا أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها إذا كان العامل فعلًا، نحو: راكب جاء زيد للنقل والقياس<sup>(2)</sup>. فالنقل كقولهم في المثل: شتى تؤوب الحلبة، فدل على جوازه.

وأما القياس فلأن العامل فيها متصرف، وإذا كان العامل متصرفًا وجب أن يكون عمله متصرفًا أيضًا، وإذا كان عمله متصرفًا وجب أن يجوز تقديم معموله عليه، كقولهم عمرًا ضرب زيد، فالذي يدل عليه، وهو أن الحال شبيه بالمفعول، وكما يجوز تقديم المفعول به على الفعل، فكذلك يجوز تقديم الحال عليه<sup>(3)</sup>.

ومن أمثلة تقدم الحال على صاحبه في ديوان آخر الليل:<sup>(4)</sup>

شنتًا أموت

وذبحًا أموت

نرى الشاعر أنه قدم الحال (شنتًا، ذبحًا) على عاملهما، والأصل في الجملة تقديم الجملة الفعلية (أموت شنتًا)، (أموت ذبحًا)، لكن ما تحمله هاتان الكلمتان (شنتًا، وذبحًا) في التقديم دليل على الحالة السيئة التي عاشها الشاعر من أثر بعده عن المحبوبة والطريقة التي يموت بها.

ويتقدم الحال على المفعول به في قوله:<sup>(5)</sup>

سألته، معذبًا نفسي، إذن

صف لي قتيلاً واحدًا

يعد تقدم الحال على المفعول به فيما سبق تغييرا في الرتبة، فقد تقدم الحال (معذبًا نفسي) على مقول القول (صف لي قتيلاً واحدًا) والأصل أن يتأخر الحال عن مقول القول لأن "الحال يأتي في المرتبة السابعة حسب مراتب الجملة الفعلية بعد المفاعيل"<sup>(6)</sup>، وقد ابتعد الشاعر عن هذا المؤلف ليجذب انتباه القارئ.

#### رابعاً: تقديم شبه الجملة على معمولها

لم تلق ظاهرة تقديم شبه الجملة على معمولها اهتماماً من علماء النحو، بل ربما أغفلوها، على حين لاقت هذه الظاهرة اهتماماً كبيراً من العلماء البلاغيين وأفردوا لها دراسات واسعة.

ويرى البلاغيون أن ظاهرتي التقديم والتأخير في شبه الجملة (الجار والمجرور) لهما مدلولات كثيرة، ومن هذه المدلولات ألا يتوهم السامع خلاف المقصود كتقديم شبه الجملة (الجار والمجرور) على الفعل والفاعل

(1) المصدر السابق ص210،

(2) المصدر السابق، ص210.

(3) المصدر السابق، ص211.

(4) درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة يوم، ص64.

(5) درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة جندي يحلم بالزنايق البيضاء، ص34.

(6) الميداني، عبدالرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص352.

كما في قوله تعالى: **جَافَ قَفَقَافٌ** <sup>(1)</sup>، فتأخير شبه الجملة في الآية السابقة يحدث إخلالاً في المعنى <sup>(2)</sup>.

ومن ذلك في ديوان آخر الليل في تقديم شبه الجملة على الجملة الفعلية لأسباب أسلوبية: <sup>(3)</sup>

بأهلي حلمت  
بساعد أختي  
سيلتف حولي وشاح بطوله  
حلمت بليلة صيف

نلاحظ الشاعر قد قدم شبه الجملة (بأهلي) المتعلق بالفعل (حلمت) والأصل أن يقول: (حلمت بأهلي)، ولكن أحدث الشاعر بهذا التقديم خرقاً للقاعدة؛ ليجذب القارئ إلى التمعن والانتباه وكذلك لمعنى التعظيم الذي أراده لأهله.

وكذلك في قوله: <sup>(4)</sup>

من يد النخلة أصطاد سحابة  
عندما تسقط في حلقي ذبابة

فيقدم شبه الجملة (من يد النخلة) على الجملة الفعلية (أصطاد سحابة) والأصل أن تكون العبارة (أصطاد سحابة من يد النخلة)، وبهذا التقديم أعطى نوعاً من الدهشة والغربة المتمثلة (بيد النخلة) وما ترمز له من العراقة والقدم، وما في داخل الشاعر من حزن وألم.

وكذلك من مدلولات تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور) أن يدل على العناية والاهتمام، كتقديم شبه الجملة على المفعول به كما في قوله تعالى: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ آَلِينَ﴾** <sup>(5)</sup>، فالاهتمام ينصب على الله تعالى <sup>(6)</sup>.

ومن تقديم الجار والمجرور على المفعول به في قول الشاعر: <sup>(7)</sup>

يا زهرة البركان، يا نبض يدي  
إنني أبصر في عينيك ميلاد الغد

نلاحظ أن الشاعر قد قدم شبه الجملة (في عينيك) على المفعول به (ميلاد الغد) فالأصل أن يقول: (إنني أبصر ميلاد الغد في عينيك)، والغاية من المخالفة الدلالة إلى الجو الرومانسي الذي يعيشه مع محبوبته، وفي ذلك "براعة في السبك وجودة في التأليف، لمراعاة النظم" <sup>(8)</sup>، ولهذا قدم الجار والمجرور على المفعول به، فلو أحر الجار والمجرور كان الكلام مبهماً وكان على القارئ أن يبحث عن وجه له القول ويهمل المقول.

<sup>(1)</sup> سورة طه، الآية 67.

<sup>(2)</sup> التفتازاني، سعد الدين مسعود (792هـ)، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار العلوم، جامعة القاهرة، ص378.

<sup>(3)</sup> درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة اعتذار، ص14.

<sup>(4)</sup> المصدر السابق، قصيدة الجرح القديم، ص8.

<sup>(5)</sup> سورة الأنعام، الآية 100.

<sup>(6)</sup> التفتازاني، سعد الدين مسعود (792هـ)، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار العلوم، جامعة القاهرة، ص379.

<sup>(7)</sup> درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة أغنية ساذجة عن الصليب الأحمر، ص41.

<sup>(8)</sup> الميداني، عبدالرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص206.

وأيضاً نرى ذلك في قوله: (1)

إنني اقرأ في عينيك ميلاد النهار

إنني اقرأ أسرار العواصف

فالشاعر قدّم شبه الجملة على المفعول به والأصل أن يقول: (إنني اقرأ ميلاد النهار في عينيك)، فهذا التقديم يعطي انتباهاً وأهميةً للعينين اللتين ترمزان إلى الفجر والمستقبل الجديد، والبدء في حياة جديدة.

وهذا التقديم المتكرر في شبه الجملة يؤكد عمق العواطف، ويشوق القارئ لمعرفة ما هو منتظر، وتأخير المفعول به عن شبه الجملة هو أمر حسي؛ لأغراض جمالية وإيحائية تساعد على ترابط النص، كأن يوافق التأخير دلالة الألفاظ ويتماشى مع تشكيل الصورة لدى السامع.

ومن مدلولات تقدم شبه الجملة (الجار والمجرور) عرض أمر يوجب نصب عينك، فإذا توهمت أن مخاطبك ملتفت إليه منتظر لذكره كتقدم شبه الجملة على الفاعل في الفعل اللازم كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (2)، فتقدم شبه الجملة على الفاعل؛ لاشتمال ما قبل الآية هذه على سوء معاملة أصحاب القرية الرسل، فالسامع يريد أن ينتظر لإمام حديث بذكر القرية هل فيها منبت خير أم كلها كذلك، فهذا العارض جعل المجرور نصب العين (3).

وتعتبر ظاهرة التقديم والتأخير في شبه الجملة (الجار والمجرور) ظاهرة هامة، فقد وجدت لأغراض منها الاختصاص والحصر، فالاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾ (4)، فقد تقدمت شبه الجملة (إلى الله) على الجملة الفعلية (تصير الأمور)؛ لأن المعنى أن الله - سبحانه وتعالى - مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (5)، فتقدم شبه الجملة على عاملها في هاتين الآيتين، وقد أفاد التقدم الاختصاص.

وأما الحصر يكون في دخول أدوات الحصر على شبه الجملة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ مَنْمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَلِيَّ اللَّهُ تَحْشُرُونَ﴾ (6)، فالمعنى يفيد أن الحشر من الله لا من غيره (7).

ويرى السكاكي أن الغرض من تقديم شبه الجملة على الفاعل العناية الفائقة بشبه الجملة والاهتمام بها، فعند قولك: أعجبنى من كتابك الآخر المسألة الفلانية، فتقدم المجرور على المرفوع وبالتالي كل الذهن ينصب في كتابك الآخر، فالقصد الاعتناء والاهتمام بالكتاب الآخر أكثر من المسألة الفلانية (8).

يقدم الشاعر محمود درويش في ديوان آخر الليل شبه الجملة على الفاعل في مواضع كثيرة ومنها في

قوله: (1)

(1) درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة خارج من الأسطورة، ص12.

(2) سورة يس، الآية 20.

(3) التفتازاني، سعد الدين مسعود (792هـ)، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداري، دار العلوم، جامعة القاهرة، ص378.

(4) سورة الشورى، الآية 53.

(5) سورة التغابن، الآية 1.

(6) سورة آل عمران، الآية 158.

(7) السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، سوق البتراء، عمان، 1420هـ - 2000م، ج1، ص157.

(8) السكاكي، أبو يعقوب بن أبي بكر (626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م، ص236.

## أحاور هبة ربح إذا هاجر الزارع الأول وعاث بحنطته القاتل

نلاحظ أن الشاعر محمود درويش يقدم شبه الجملة (بحنطته) على الفاعل (القاتل)، والأصل أن يقدم الفاعل على شبه الجملة بأن يقول: (وعاث القاتل بحنطته)، وبهذا التقديم يخبرنا الشاعر بما يعانيه من ألم، وحرقة، وظلم، ومخاوف من العدو الغاصب الذي عبث في كل شيء، حتى ما يزرعونه يذهب هباء منثوراً، وكان لتقديم شبه الجملة على الفاعل إيحاءً إلى أنه يعيش شبه حياة وأنه مهدد بالخطر في أي وقت.

وكذلك يقدم محمود درويش شبه الجملة على الفاعل في قوله: (2)

إذا سقطت على عيني سحابة

دمعة كانت تلف عيونك السوداء

فقد قدم شبه الجملة (على عيني) على الفاعل (سحابة) والأصل أن يقدم كلمة (السحابة) على شبه الجملة (على عيني).

فالتقديم هنا يفيد العناية والاهتمام، فالشاعر هنا حزين ومهموم فموطن الحزن دائماً في العين التي قدمها على الفاعل (السحابة) التي ترمز لكثرة البكاء.

وأيضاً نلاحظ تقدم شبه الجملة على الفاعل في قول درويش: (3)

فليخذ إلى الصمت مغنيكم، وعرشي

سوف يمتد

نلاحظ شبه الجملة (إلى الصمت) تقدمت على الفاعل (مغنيكم) بقصد من الشاعر في الجرأة بالوعيد والتهديد للقائد الذي ظلم كثيراً ولكنه حتماً سيزول، وسينتصر الحق، فبتقديم شبه الجملة (الصمت) هو نوع من السخرية والإذلال لهذا القائد، ولهذا عدَّ ابن خلدون اللغة ملكة شبيهة بالصناعة فيقول: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها" (4).

والحقيقة أن تقديم شبه الجملة على المعمول يكون للاهتمام والعناية سواء لغرض حصر أم لغرض اختصاص، فيقول الجرجاني: واعلم أننا لم نجد لهم اعتماداً فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام، قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعاً يهيمنانهم ويعنيانهم (5).

(1) درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م، قصيدة أزهار الدم، ص47.

(2) المصدر السابق، قصيدة إلى ضائعة، ص68.

(3) المصدر السابق، قصيدة الأغنية والسلطان، ص75.

(4) ناصر إبراهيم النعيمي، عاهد العامرية، الأنظار المعرفية في الدراسات اللغوية العربية، مجلة جامعة الزيتونة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد 2، الإصدار الثالث، 2021م، ص153.

(5) السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج1، ص157.

## الخاتمة

وأخيراً خُصّص البحث إلى أن الرتبة النحوية وهي ما سميت بظاهرة التقديم والتأخير من أهم العناصر المكونة للغة الشعرية في ديوان آخر الليل، وهي تقوم على خرق القوانين المعيارية للنحو من أجل تحقيق سمات شعرية جديدة تعجز عنها اللغة.

## النتائج

وأبرز النتائج التي توصل إليها البحث هي:

- إن دراسة الرتبة النحوية لها أهمية كبرى في فهم بعض أسرار الكلام ومعانيه.
- إن تغيير الرتبة في النحو العربي لم يأت اعتباطاً، وإنما يكون هدفاً مقصوداً لغرض معين.
- يعتبر سيوييه صاحب الأسبقية في بيان أثر التقديم والتأخير في المعنى النحوي.
- إن ظاهرة التقديم والتأخير لها أهمية كبيرة في ديوان آخر الليل.
- يعتبر تغيير الرتبة في ديوان آخر الليل يعطي فوائد كثيرة منها: العناية والتخصيص والاهتمام والتشويق.

## قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأنباري، أبو البركات (577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م.
  - بسيوني، كمال، المتشبهات في النحو، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
  - النفتازاني، سعد الدين مسعود (792هـ)، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار العلوم، جامعة القاهرة.
  - حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء، المغرب، 1994م
  - حسين عمر دراوشة، النسق في شعر المعتقلين الفلسطينيين ديوان الضوء والأثر نموذجاً، مجلة جامعة الزيتونة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثاني، الإصدار الثالث، 2021، ص67.
  - الجرجاني، علي بن محمد (392هـ)، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق، دار الفضيلة، الإدارة، القاهرة.
  - درويش، محمود، ديوان آخر الليل، ط13، دار العودة، بيروت، 1993م.
  - رضا، أحمد، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1377هـ - 1958م.
  - الزجاجي، أبو القاسم (340هـ)، في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، ط3، دار النفائس، بيروت، 1979م.
  - الزمخشري، محمود بن محمد بن عمر الخوارزمي (538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م

- السامرائي، فاضل، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط2، سوق البتراء، ساحة الجامع الحسيني، ط2، 2007م.
- السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، سوق البتراء، عمان، 1420هـ - 2000م.
- السكاكي، أبو يعقوب بن أبي بكر (626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م.
- سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان (180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ - 1988م.
- عبد الحميد، ليث أسعد، الجملة الوصفية في النحو العربي، ط1، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م.
- الغرابية، علاء الدين أحمد، الزمن النحويّ في مقام الياسمين لخالد الكركي: دراسة في التركيب والدلالة، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد 37، العدد 1، 2010م.
- اللبدي، محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، 1405هـ - 1985م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها.
- النعيمي، ناصر إبراهيم، العامرية، عاهد، الأنظار المعرفية في الدراسات اللغوية العربية، مجلة جامعة الزيتونة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد 2، الإصدار الثالث، 2021، ص153.
- ابن يعيش، موفق الدين (643هـ)، شرح المفصل.